ومثال الثالث قولك صار زيد عالما اذا لم تزد اخذه فيه ولا بلوغه
نهايته بل كونه متلبسا به • واذا علم هذا فنقول اصل استعمال اصبح
فيما يصير الشي اخذا في وصف ومبتديا في امر • واصل امسى فيما يصير الشي
بالكمال في الوصف نهايته • واصل اضحى للمتوسط لا يقال اهل الاستعمال
لا يفرقون بين الامور ويستعملون الالفاظ الثلاثة بمعنى لانا نقول اذا
تقاربت المعاني جاز الاستعمال لا لبيا في الاصل وكثير من الالفاظ اصله
معنى واستعمل استعمالا شايعا فيما يشاركه • واذا علم هذا فنقول قوله تعالى فتصبحوا
اي تصيروا اخذين في الندم ثم تستديمونه وكذلك في قوله فاصبحتم بنعمته
اخوانا اي اخذتم في الاخوة وانتم فيها زايدون مستمرون قوله
نادمين الندم هم دايم • والنون والدال والميم في تقلبها لا ينفك عن معنى
الدوام كقول القايل ادمن في الشرب ومدمن اي اقام • ومنه المدينة
قوله واعلموا ان فيكم رسول الله فاتقوا الله ان تقولوا باطلا او تكذبوه فان
الله يخبره ويعرفه احوالكم فتفتضحوا قوله لو يطيعكم يجوز ان يكون حالا
اما من الضمير المجرور في قوله فيكم واما من المرفوع المستتر في فيكم لوقوعه خبرا
ويجوز ان يكون مستانفا الا ان الزمخشري منع هذا لادايه الى تنافر النظم ولا
يظهر ما قاله بل الاستيناف واضح ايضا • واتى بالمضارع بعد لو دلالة على انه
كان في ارادتهم استمرار عمله على ما تستعنون فصل نقل ابن الخطيب
ان الزمخشري قال وجه التعليق هو ان قوله لو يطيعكم في تقدير حال الضمير
المرفوع في قوله فيكم والتقدير كاين فيكم او موجود فيكم على حال تريدون ان يطيعكم
او يفعل باستصوابكم فلا ينبغي ان يكون على تلك الحال لو فعل ذلك لعنتم اي وقعتم
في شدة او اثمتم وهلكتم والعنت الاثم والهلاك • ثم قال ولكن الله حبب اليكم
الايمان وزينه وهذا خطاب مع بعض المومنين غير المخاطبين بقوله لو يطيعكم • قال
الزمخشري اكتفى بالتغاير في الصيغة واختصر ولم يقل حبب الى بعضكم الايمان • وقال
ايضا بان قوله تعالى لو يطيعكم بدل اطاعكم اشارة الى انهم كانوا يريدون استمرار
تلك الحالة ودوام النبي عليه الصلوة والسلام على العمل باستصوابهم لكن يكون ما
بعدها على خلاف ما قبلها وههنا كذلك وان لم تحصل المخالفة بصريح اللفظ لان
اختلاف المخاطبين في الوصف يدلنا على ذلك لان المخاطبين اولا بقوله لو يطيعكم
هم الذين ارادوا ان يكون عملهم لمراد النبي عليه الصلوة والسلام هذا ما قاله
الزمخشري واختاره وهو حسن • والذي يجوز ان يقال وكانه هو الاقوى ان
الله تعالى قال ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا واكشفوا ثم قال بعده واعلموا
ان فيكم رسول الله اي الكشف سهل عليكم بالرجوع الى النبي عليه الصلوة والسلام
فانه فيكم مبين مرشد وهذا كما يقول القايل عند اختلاف تلاميذ الشيخ في
مسالة هذا الشيخ قاعد لا يريد به بيان قعوده وانما يريد امرهم بمراجعته
لان المراد انه لا يطيعكم في كثير من الامر وذلك لان الشيخ اذا كان يعتمد على قول
التلاميذ لا يطمين قلوبهم بالرجوع اليه واذا كان لا يذكر الا النقل الصحيح ويقرره
بالدليل القوي يراجعه كل احد فكذلك ههنا فاسترشدوه فانه يعلم ولا يطيع
احدا فلا يوجد فيه حيف ولا يروج عليه زيف • والذي يدل عليه ان المراد من قوله
لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لبيان امتناع الشرط لامتناع الجزا كما في قوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا • وقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا وذلك يدل على انه ليس فيهما الهة وانه ليس من عند غير الله
قوله ولكن الله حبب اليكم الايمان هذا استدراك من حيث المعنى لا من حيث
اللفظ لان من حبب اليه الايمان غايرت صفته صفة من تقدم ذكره فصل
حبب اليكم الايمان فجعله احب الاديان اليكم وزينه وحسنه في قلوبكم حتى اخترتموه
وتطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق • قال ابن
عباس

عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله ثم رد عامن الخطاب الى الخبر
فقال اوليك هم الراشدون فصل قال ابن الخطيب بعد ذكره
الكلام المتقدم وهذا معنى الاية جملة فلنذكره تفصيلا في مسايل المسالة
الاولى لو قال قايل اذا كان المراد بقوله واعلموا ان فيكم رسول الله الرجوع
اليه فلم لم يصرح بقوله فتبينوا وراجعوا النبي عليه الصلوة والسلام وما
الفايدة في العدول الى هذا المجاز • نقول فايدته زيادة التاكيد لان قول القايل
في المثال المتقدم هذا الشيخ قاعد اكد في وجوب المراجعة من قوله راجعوا شيخكم
لان القايل يجعل وجوب مراجعته متفقا عليه ويجعل سبب عدم الرجوع
عدم علمهم بقعوده فكانه يقول انكم لا تشكون في ان الكاشف هو
الشيخ وان الواجب مراجعته لكنكم لا تعلمون قعوده فهو قاعد فيجعل المراجعة
اظهر من القعود لانه يقول حق عليكم قعوده فتركتم مراجعته ولا يخفى عليكم
حسن مراجعته فيجعل حسن المراجعة اظهر من الامر الخفي بخلاف ما لو قال
راجعوه لانه حينيذ يكون قايلا بانكم ما علمتم ان مراجعته هو الطريق
وبين الكلامين بون بعيد فكذلك قوله تعالى واعلموا ان فيكم جعل حسن
مراجعته اظهر من كونه فيهم حيث ترك بيانه واخذ في بيان كونه فيهم
وهذا من المعاني العزيزة التي توجد في المجازات ولا توجد في الصرايح • فان
قيل اذا كان المراد من قوله لو يطيعكم بيان كونه غير مطيع لاحد بل هو متبع
للوحي فلم لم يصرح به • فنقول بيان نفي الشي مع بيان ذلك النفي اتم من بيانه
من غير دليل والجملة الشرطية بيان للنفي مع بيان دليله فان قوله ليس فيهما
الهة لو قال قايل لم قلت انه ليس فيهما الهة يجب ان يذكر الدليل فيقال
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فكذلك ههنا لو قال لا يطيعكم لقال
قايل لم لا يطيع فوجب ان يقال لو اطاعكم لاطاعكم لاجل قلتكم ومصلحته ابقا
لكن لا مصلحة لكم فيه لانكم لعنتم وتاثمون وهو يشق عليه عنتكم كما قال
عزيز عليه ما عنتم فاذا اطاعكم لا يفيده شيا فلا يطيعكم فهذا نفي الطاعة بالدليل
وبين نفي الشي بدليل ونفيه من غير دليل فرق عظيم • واعلم ان في قوله
في كثير من الامر ليعلم انه قد يوافقهم ويعمل بمقتضى مصلحتهم تحقيقا لفايدة
قوله وشاورهم في الامر • فان قيل اذا كان المراد بقوله تعالى ولكن الله حبب
اليكم الايمان فلا تتوقفوا فلم لم يصرح به • قلنا لما بينا من الاشارة الى ظهور
الامر يعني انتم تعلمون ان اليقين لا توقف فيه اذ ليس بعده مرتبة حتى
يتوقف الى بلوغ الامر الى تلك المرتبة بخلاف الشك فانه يتوقف الى بلوغ الامر
الى درجة الظن ثم الظن يتوقف الى بلوغ درجة اليقين فلما كان عدم التوقف
في النفس معلوما متفقا عليه لم يقل فلا تتوقفوا بل قال حبب اليكم الايمان
اي بينه وزينه بالبرهان اليقيني فصل قال ابن الخطيب معنى حبب
اليكم اي قربه اليكم وادخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج
من قلوبكم وذلك لان من يحب شيا فقد يسام منه لطول ملازمته والايمان
كل يوم يزداد حسنا فكل من كانت عبادته اكثر وتحمله مشاق التكليف اتم
تكون العبادة والتكاليف عنده الذ واكمل ولهذا قال اولا حبب اليكم الايمان
وقال ثانيا وزينه في قلوبكم كانه قربه اليهم ثم اقامه في قلوبهم
فصل وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان • قال ابن الخطيب
هذه الامور الثلاثة في مقابلة الايمان الكامل لان الايمان الكامل المزين
هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فقوله كره
اليكم الكفر وهو في مقابلة التكذيب بالجنان فهو في مقابلة التصديق بالجنان
واما الفسوق فقيل هو الكذب كما تقدم عن ابن عباس • وقال تعالى ان جاكم

King Saud University
Copyright King Saud University